الباب الأول

مع النفس

تمهيد

يحتوي الباب الأول [**مع النفس**]، على أربعة فصول: فصل [**في رحاب التفسير**]، وفيه تفسير سور الأعلى والغاشية والفجر، وفصل [**من رحيق السيرة**]، وفيه عرض لسيرة النبي ﷺ في أواخر العهد المدني، وما يتعلق بوداع النبي ﷺ للأمة، ووفاته ﷺ، ثم فصل [**من جواهر العلم**]، وفيه فقه صلاة الجماعة وسترة المصلي، ويختم بفصل [**من حصاد الفكر**]، وفيه تواصل التعريف العام بالإسلام، وتخصصه في هذا الجزء للتعريف العام بعقيدة الإسلام.

أما [**في رحاب التفسير**]، فنعيش فيه مع تفسير [**سورة الانشقاق**]،والتي تعرض ذلك الانقلاب الكوني الهائل الذي يحدث عند قيام الساعة وما فيه من استسلام للكون كله للخالق سبحانه، وما يتبع ذلك الانقلاب من شدة الحساب للأشقياء الذين يلاقون الأهوال حتى يتمنون الهلاك والموت للنجاة منها، أما من قدم العمل الصالح فيحاسب حسابًا سهلا هينًا يُرد على إثره إلى أهله منتهجًا مسرورًا بما منحه الله من الفضل والكرامة.

ونعيش أيضا مع [**سورة البروج**] لنتعرف على نماذج من المؤمنين ثبتوا على دينهم وبذلوا أرواحهم في سبيل الاستمساك به فسيكون لهم فورًا ما بعده فور في الآخرة، أما الطغاة المتجبرين فجزاؤهم من جنس عملهم، وسيكون انتقام الحق سبحانه منهم شديد وسيهلك هؤلاء الطغاة كمن سبقهم ويظل القرآن محفوظًا بعناية الله

ثم تأمل [**سورة الطارق**] التي تشير إلى حفظ الملائكة للإنسان وتعهدهم له بالرعاية وإحصائهم لأعماله، وتذكّر الإنسان بداية نشأته ومآله الذي هو صائر إليه، كما تنبه على أن الله يمهل الظالمين ولا يهملهم

وفصل [**من وحيق السيرة**]، بين فيه أن الجهاد فيه عناء ومشقة، وتتذكر أن الله هو خير الحافظين، وبنه كل مسلم ألا يؤتى الإسلام من قبله، وتتعلم أن تُري أهل الباطل منا قوة، وترى كيف أن الحكمة تفض النزاعات وتجمع القلوب، ونلفت الانتباه إلى أن الإيمان هو عدتنا وسر قوتنا، كما تتعلم أن الكفاءة هي معيار الاختيار وأنه من الضروري أن نحسن التعامل مع الواقع، وتؤكد على أن رابطة العقيدة تعلوا كل الروابط وأن صالحات المرء تقبل عثراته وأن لكل قلب مفتاحه وأن المسلمون يفتحون البلاد وليصونوا حرماتها وأنهم يعفون عمن ظلمهم حين يعلون عليه، وتعرض لما ينبغي أن تكون عليه المشاعر بين القيادة والجنود، ثم نحذر من أن غرور القوة يعمي البصيرة وأن الإعجاب بالنفس بداية السقوط، ونرى أن ثبات القائد يحيل الهزيمة نصرا، ونقرر أن المسلم صاحب رسالة لا طالب دنيا لذا لا يمس المدنيين الأبرياء بسوء، ونفهم أنالحرص على فعل الخيرات يوجب الأجر وإن لم نفعلها، كما تتعلم أن الصدق منجاة لأصحابه، وغير ذلك كثير من الدروس والعبر والعظات لا يمكن حصرها في هذا التمهيد، لكنها مبثوثة في عناوين جانبية واضحة فلتتأملها.

وأما فصل [**من جواهر العلم**] فتركيزه في هذا الجزء على مقدمة أحكام الصلاة من بيان لمنزلتها في الإسلام، وحكم تارك الصلاة وعلى من

تحت وأقسامها ومواقيتها وشروط صحتها، ثم نتناول فرائض الصلاة وسننها، وقد تحرينا ربط كل حكم بالحديث الصحيح الذي يؤيده، حتى يشعر القلب بمعية الوحي في كل تصرف عملي، ولتكون الآية الكريمة أو الحديث الشريف رادًا ومرتكزًا لكل من يبحث عن الثواب في تنايع الحكم الشرعي لغيره.

وفصل [**من حصاد الفكر**] يعني بالتعريف بالشريعة وما هي مصادر التشريع في الإسلام، ونتعرف على مقاصد الشريعة الإسلامية من درء للمفاسد ورعاية للمصالح، كما نتعرف على مرتكزات منهج الشريعة في تحقيق هذه المقاصد من تقديم لدرء المفسدة على جلب المنفعة والتوفيق بين المصالح وتفويت أدنى المنفعتين عند تعارضهما وتحمل الضرر الأصغر دفعًا للضرر الأكبر ونشير إلى مميزات الشريعة من كمال وسمو ودوام، ونلفت الانتباه إلى خصائصها من شمول وأخلاق ومراعاة للواقع، كما نتعلم المبادئ الأساسية للشريعة من مساواة وشورى وتقديم لمصلحة الجماعة وصيانة للحريات الأساسية.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا علمًا نافعًا، وأن يرزقنا العمل والإخلاص.

*****

الفصل الأول

في رحاب التفسير

١- سورة الانشقاق

٢- سورة البروج

٣- سورة الطارق

١ - سورة الانشقاق

سورة الانشقاق سورة مكية، وهي تعالج أصول العقيدة الإسلامية- كشأن سائر السور المكية- من خلال استعراضها لأهوال القيامة.

تعرض السورة مآل تلك الكتب التي كتبها عليا الملائكة الكرام الكاتبون، هؤلاء الذين عرفنا بهم سورة الانفطار، والتي أخبرتنا سورة المطففين أنها أُودعَت في سجّين أو في عليين، حين عرضت لعاقبة كل من المجرمين والمؤمنين بإشارات مختصرة جاءت سورة الانشقاق بتفصيلها

قال الله ﷻ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥)﴾.

المفردات.

﴿وَأَذِنَتْ﴾ وسَمِعَت ﴿وَحُقَّتْ﴾: وأطاعت

﴿مُدَّتْ﴾ بُسِطَت ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ أخرجت الموتى من بطنها.

الانقلاب الهائل.

ابتدأت السورة الكريمة بذكر بعض مشاهد الآخرة، وصوَّرت الانقلاب الذي يحدث في الكون عند قيام الساعة وما يحدث من كوارث وأهوال يفزع لها الخيال، فكيف إذا تشققت السماء وتصدَّعت مُؤذنةً بخراب الكون؟

لقد استمعت السماء لأمر ربها وانقادت لحكمه وحقَّ لها أن تسمع

وتطيع. والأرض كذلك زادت سعة بإزالة جبالها وآكامها، وصارت مستوية لا ماء فيها ولا جبال، كما ألقت ما في جوفها من الموتى وتخلت عنهم، وألقت كل ما في بطنها كما تُلقي الحامل ما في بطنها من الحمل، وما ذلك إلا استماعًا منها لأمر ربها وطاعةً له وحق لها أن تسمع وتطيع، وهنا بلتفت إلى استسلام السماء واستسلام الأرض، كيف هو استسلام كله طواعية وخشوع ويسر وفي ذلك ترقيق لقلب الإنسان وإلقاء للخشوع في حسه إنه استسلام كوني لا التواء فيه ولا مماطلة، يحرص الإنسان على التوافق معه، وأن يطيع ويخشع في غير حلبة ولا معارضة ولا كلام.

قال الله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩)﴾.

المفردات

﴿كَادِحٌ﴾ عامل دائب
﴿كَدْحًا﴾ عملا مجهدًا.
﴿فَمُلَاقِيهِ﴾ مواجده
﴿أُوتِيَ﴾ أُعطي
﴿كِتَابَهُ﴾ سجل أعماله
﴿يَسِيرًا﴾. سهلا هينًا.
﴿وَيَنقَلِبُ﴾ ويرجع

تعب مآله الحساب:

فإذا حدث ما تقدَّم، يلقى الإنسان من الشدائد والأهوال ما لا يُحيط به الخيال. هذا الإنسان يكد ويتعب ويجتهد، فليس لأحد في هذه الدنيا من

راحة، إنما الراحة هناك في الآخرة، وهي فقط لمن يُقَدِّم لها بالطاعة والاستسلام، الإنسان يعمل وهو في الواقع يُقدِّم لآخرته إما خيرًا أو شرًا فيجد ما قدَّم يوم يلقى ربه، يلقى ربه فيجد عنده الجزاء العادل يوم يكافئه على عمله، إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًا فشرٌّ؛ والإنسان يومئذ إما سعيد أو شقي، السعيد يتلقى كتاب أعماله بيمينه، ويحاسب حسابًا هينًا سهلاً، حساب هو عرض فقط بدون مناقشة، فيه جزاء على الحسنات وتجاوز عن السيئات، فيرجع هذا السعيد بعد هذا العرض اليسير إلى أهله في الجنة منتهجًا مسرورًا بما أعطاه الله ﷻ له من الفضل والكرامة

قال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥)﴾

المفردات:

﴿ثُبُورًا﴾ هلاكًا وويلاً. ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ يدخل نارًا متقدة.

﴿يَحُورَ﴾ يرجع

الشقي يتمنى الهلاك:

وأما من أُعطي سجل أعماله بشماله من وراء ظهره فذلك هو الش الذي سيصيح متمنيًا الهلاك والموت، لقد أيقن أنه سيدخل نارًا مُسَع يُقاسي عذابها وحرَّها، إنها التعاسة التي ليست بعدها تعاسة، والشقاء الذ

ليس بعده شقاء، ذلك الذي يجعل الإنسان يستدعي الهلاك لكي يُقِدَه مما هو فيه، كان ذلك الشقي في الدنيا مسرورًا مع أهله، غافلاً لاهيًا، لا يُفكر في العواقب

لقد ظن أنه لن يرجع إلى ربه، ولن يُحييه الله ﷻ بعد موته، ولم يهتم بالآخرة والحساب والجزاء، فلذلك كفر وفجر، لكن الله تعالى سيعيده بعد موته، ويجازيه على أعماله كلها خيرها وشرها، فإنه سبحانه مطلع على كل عبد من العباد، لا تخفى عليه خافية من شئونهم.

قال الله ﷻ. ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (١٩)﴾

المفردات

﴿بِالشَّفَقِ﴾ حمرة السماء بعد الغروب ﴿وَسَقَ﴾: ضمّ ولفّ.

﴿اتَّسَقَ﴾ استوى وتم ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ لترونّ

﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾. هولاً بعد هول.

أهوال بعد أهوال:

ثم جاء القَسَم مؤكّدًا حتى يَقرَّ في وجدان الناس حتمية ملاقاة هذه الأهوال ومعايشة هذه الأحوال، إنها حتمية كأنها الحقيقة لا تحتاج للقَسَم، جاء القَسَمُ بالشفق، والشفق حُمْرَة الأفق عند غروب الشمس، ولحظة الغروب هي اللحظة التي يُحس فيها القلب بمعنى الوداع وما فيه من أسى وصمت، وهي اللحظة التي يحس فيها القلب برهبة الليل القادم ووحشة الظلام الزاحف، وذلك إحساسٌ يُشبه إحساسَ المعادر للدنيا، المُقبل على

الآخرة، وجاء القَسَمُ بالليل، الليل يلفُّ في ظلمته ويجمع ويخفي كل ما كان منتشرًا في النهار، وجاء الأمور في ظلام الليل يُلقي في القلب هواجس وقلق يتناسب مع ما يكون في قلب من أقبل على أول منازل الآخرة، ذلك الذي جُمع عمله وطُوي كتابه، ومصيره لم يتضح له بعد، فالقلب تملؤه الهواجس والقلق.

وجاء القَسَمُ بالقمر إذا تكامل نوره وصار بدرًا ساطعًا منيرًا، إن لحظة سطوع نور البدر في وسط ظلمة الليل هي لحظة كَشْف بعد خَفَاء، وكذلك يتضح لكل إنسان ويكشف له مصيره أفي الجنة هو أَمْ في النار، فيا له من قَسَمٍ موحٍ، إنه يشير إلى أن كل شيء سيُعرف ويُرى تمامًا كما يَكشفُ نورُ القمرِ ما أحمته ظلمة الليل بعد أن يبددها. قَسَمًا يا معشر الناس لسوف تلاقون أحوالاً وأهوالاً وشدائد عصيبة، هي في الشدة طبقات بعضها فوق بعض

قال الله ﷻ ﴿فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) واللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إلا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)﴾

المفردات:

﴿يُوعُونَ﴾ يجمعون من الكفر والحسود ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع

للكافرين العذاب وللمؤمنين الإنعام:

وخُتمت السورة الكريمة بتوبيخ المشركين على عدم إيمانهم بالله ﷻ، وعدم التصديق بالبعث بعد الموت مع وضوح آياته وسطوع براهينه، ولعدم خضوعهم للرحمن حين يسمعون القرآن، هؤلاء الكفار يجمعون في صدورهم التكذيب والعناد والجحود، وهذا أمر معلوم لله ﷻ الذي يعلم ما يُضمرون من عداوة للرسول وللمؤمنين، ثم وضع الله ﷻ البشارة في مقام الإنذار تهكمًا، فقال تحق المكذبين. ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

أما الذين صدّقوا الله ﷻ وصدَّقوا رسوله ﷺ، هؤلاء الذين جمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال، فلهم ثوابٌ في الآخرة دائمٌ مستمرٌ غير منقوص ولا مقطوع هذه هي نهاية المؤمنين الذين كذُّوا في الدنيا وكانوا من المجاهدين الصالحين، وتلك نهاية أعدائهم الذين أضمروا العداوة، إنهم نعموا أيضًا ولكنهم تمتعوا وكانوا مسرورين في الدنيا. المؤمنون اليوم في نعيم يمسح عنهم كل عناء وحدوه في الأرض، وغيرهم في عناءٍ يُنْسيهم كل نعيمٍ تذوقوه في الدنيا

*****

٢- سُورة البروج

سُورة البروج يدور محورها حول التضحية بالنفس في سبيل العقيدة والإيمان، وهي قصة (أصحاب الأخدود) فيها وعدٌ للمؤمنين ووعيدٌ للكافرين، وهي تعرض بعض حقائق العقيدة وقواعد التصور الإيماني.

قال الله ﷻ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩)﴾

المفردات

﴿البُرُوج﴾: منازل النجوم والكواكب. ﴿اليَوْمِ المَوْعُود﴾: اليوم الآخر

﴿وشَاهِدٍ ومَشْهُود﴾ المجتمعون يوم الحشر. ﴿الأُخْدُود﴾ الشق في الأرض

﴿نَقَمُوا﴾ كرهوا وأنكروا وعابوا

القسم العالي:

ابتدأت السورة الكريمة بالقَسَمِ بالسماء البديعة ذات المنازل الرفيعة التي تنزل فيها الأفلاك من كواكب ونجوم، إنها كالبروج ظهورًا وكالقصور علوًا وارتفاعًا، وجاء القَسَمُ بيوم وعد الله ﷻ به الخلائق، إنه يوم القيامة الذي لا

شك فيه، ثم أقسم بمحمد ﷺ والأنبياء الذين يشهدون على أممهم يوم القيامة، وبجميع الأمم والخلائق الذين يجتمعون في أرض الحشر للحساب، أقسم بذلك كله على هلاك المجرمين ملعنة من الله ﷻ، ومنهم أولئك الذين شَقُّوا أُخدودًا كحفرٍ في الأرض، وأوقدوا فيه نارًا هائلةً متأججةً، ذات حطب ولهب، ثم طرحوا المؤمنين في النار ليفتنوهم عن دينهم، لقد جلسوا حول النار يتشفون بإحراق المؤمنين فيها، ويتلذذون بمشاهدة ذلك الفعل الشنيع، وما كان للمؤمنين من ذنب إلا أنهم آمنوا بالله العزيز، أي الغالب القادر الذي يُخْشَى عقابه، آمنوا بالله الحميد، أي المُنْعِم الذي يجب له الحمد على بعَمِه، وهذا الإيمان ليس بذنبٍ يستحقون به البطش والحرق بالنار، ولكنه الطغيان والإجرام، المؤمنون آمنوا بإلهٍ جليلٍ مالك لجميع الكائنات مستحق للمجد والثناء، فليطمئن المؤمنون وليرتعد المجرمون؛ لأنه سبحانه مُطلعٌ على أعمال عباده، لا تخفى عليه خافية من شئونهم

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ(١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ(١١)﴾

المفردات

﴿فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ﴾: آذوهم ليردوهم عن دينهم

الجزاء من جنس العمل:

هؤلاء المجرمون الذين عَذَّبوا المؤمنين والمؤمنات وأحرقوهم بالنار ليفتنوهم عن دينهم ولم يرجعوا عن طغيانهم هذا، لهم عذاب جهنم، إن هذا هو مصير المجرمين، وفي هذا وعيد وتحذير وتخويف لكفار قريش، فقد كانوا هم أيضًا يُعَذِّبون مَنْ أسلم ليرجع عن الإسلام، وفي هذا الوعيد تسليةٌ لكل مَنْ يُعَذَّب في سبيل إيمانه وإسلامه.

إذا كان ذلك هو مصير الطغاة المجرمين، فماذا لهؤلاء الذين جمعوا بين الإيمان الصادق والعمل الصالح؟ إن لهم فورًا لا فور بعده، لهم البساتين والحدائق الزاهرة التي تجري من تحت قصورها أنهار الجنة.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦)﴾

المفردات:

﴿يُبْدِئُ وَيُعِيد﴾: يبدأ الخلق بالإنشاء، ويعيدهم بعد موتهم يوم الحشر.

﴿الْوَدُود﴾ المحب كثيرًا لمن أطاعه. ﴿الْمَجِيد﴾: عظيم المجد.

انتقام الله شديد:

وليعلم الناس أن انتقام الله ﷻ وأخذه الجابرة والظلمة أعداء رسله وأوليائه هو انتقام بالغ الشدة، إنه سبحانه وتعالى الخالق القادر الذي يبدأ الخلق من العدم ثم يُميتهم، ثم يُعيدهم أحياء بعد الموت، إنه سبحانه يبطش

بأعدائه لكنه عز وجل مع المؤمنين ساترًا لذنوبهم، لطيفًا محسنًا إلى أوليائه، محبًا لهم.

الله ﷻ مجيد، أي عالٍ على جميع الخلائق، فهو عز وجل صاحب العرش الذي هو أعظم المخلوقات لكونه أوسع من السماوات السبع، وهو عز وجل الذي لا يمتنع عليه شيء يريده؛ إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، يريد مرة أن ينتصر المؤمنون به ويتمكنوا في هذه الأرض لحكمة يريدها، ويريد مرة أخرى أن ينتصر الإيمان على الفتنة وتذهب الأجسام الفانية لحكمة أخرى يريدها، يريد مرة أن يأخذ الجبارين في الأرض، ويريد مرة أن يمهلهم لليوم الموعود لحكمة تتحقق هنا في الأرض، وأخرى تتحقق هناك في السماء، وهو عز وجل يفعل ما يريد

قال الله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ(١٧)فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ(١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ(٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ(٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢)﴾

المفردات

﴿فِرْعَوْنَ﴾ ملك مصر الذي ادعى الألوهية فأهلكه الله

﴿ثَمُود﴾: قوم صالح عليه السلام. ﴿مُحِيطٌ﴾ عالم بما عملوا

﴿مَّجِيدٌ﴾: كثيرٌ مجده ﴿مَّحْفُوظٍ﴾. مصون من الشياطين

الطغاة يذهبون ويبقى القرآن:

وختمت السورة الكريمة بقصة الطاغية الجبار (فرعون) وما أصابه وجنده من الهلاك بسبب البغي والطغيان، وفي القصة عبر الجموع الكافرة الذين تمردوا لحرب الرسل والأنبياء، لكن كفار قريش لا يعتبرون بل هم مستمرون في التكذيب، والله ﷻ قادر عليهم فهم لا يُعجزونه لأنهم في قبضته سبحانه في كل حين وزمان

أما القرآن، هذا الكتاب الذي كذبوا به فهو كتاب عظيم شريف سما على سائر الكتب السماوية في إعجازه ونظمه وصحة معانيه، وهو محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل، لذلك فإن كل ما يقرره القرآن هو القول الفصل الصحيح والمرجع الأخير، وعلينا أن نتعامل مع القرآن على هذا الأساس في كل الأمور

نحن نتعلم من هذه السورة كيف نلود بالإيمان الذي يُورثُ الثبات، نتعلم ذلك من تدبر حقيقة أن المؤمنين الذين أُلقوا في الأخدود آخرًا لم يفتنهم أن رأوا هؤلاء الذين أُلقوا في نار الأخدود أولا، لقد ابتطروا دَورَهم وفي قلوبهم تصميم على أن تعلوَ العقيدة على الفتنة، وإصرار على أن ينتصرَ الإيمان على النار، إن نار الأخدود حرقت أجسادًا فانيةً، لكنها لم تحرق العقيدة، بل أنضجتها، ونقلت أرواحًا من المؤمنين إلى الفوز الكبير إن الذي احترق في الواقع هي أفئدة أهل الضلال، احترقت كمدًا وغيظًا من ثبات المؤمنين، وهذا هو عين ما يحدث في كل عصر وزمان؛ ثبات أهل الحق على ما هم عليه

يكون لهيبًا تصطلي به قلوب من يظلمهم، هذا الثبات يُشْعِرُ الحائرين بحقيقة عجزهم الذي يُكبرون، هذا الثبات يكشفهم أمام أنفسهم فيعرفون أنهم أعجز من أن يسيطروا على الأرواح وإن سيطروا على الأجساد، وفي ذلك تنديد لأوهام القدرة التي يطوفون أنها لهم، هذا الثبات يُشعرهم أنهم أضعف من أن يحصلوا على ما يريدون، وفي هذا تنديد لأوهام السُّلْطَة التي يطوفون أنها في أيديهم، إن أشد ما يؤلمهم أنهم كلما أرادوا أن يعيش الناس بدون الإيمان فشلوا؛ لأن الناس يحتفظون بالإيمان ويتركون الحياة، يموت المؤمن منتصرًا بينما يعيش الظالم منهزمًا متألمًا ثم يموت، وعندئذ تكون حسرته الكبرى، إنه يدرك بعد أن يموت أن كل ما حدث ووقع في الأرض هو مجرد مشهد حزين من الموقف، وحتمٌ عليه أن يشهد في الآخرة الخاتمة الحقيقية للأمر: فوزًا كبيرًا لمن ثبت، وعذابًا مقيمًا لمن ظَلَم

*****

٣- سُورة الطارق

سُورة الطارق مكية، وهى تعالج بعض الأمور المتعلقة بالعقيدة الإسلامية، ومحورها يدور حول الإيمان بالبعث والنشور، وقد أقامت البرهان الساطع والدليل القاطع على قدرة الله ﷻ على البعث، فإن الذي خلق الإنسان من العدم قادر على إعادته بعد موته

قال الله ﷻ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ(٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤)﴾

المفردات:

﴿الطَّارِقِ﴾: النجم ﴿الثَّاقِبُ﴾: الثاقب ضوؤه

ومعك مُوَكَّلون بحفظك:

ابتدأت السُورة الكريمة بالقَسَم بالسماء وبالنجم، أو الكوكب المنير الذي يجيء ليلاً، فما هذا القادم ليلاً؟! إنه نجم مضيء يثقب الظلام بضيائه، على أي شيء كان القَسَم؟! إنه على أن كل إنسان قد وُكِّلَ به من الملائكة الأبرار مَنْ يحرسه ويتعهد أمره، يحفظ عمله ويُحصي عليه ما يكسب من خير وشر

قال الله ﷻ ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ

عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ ولا نَاصِرٍ (١٠)﴾

المفردات

﴿دَافِقٍ﴾ يصب مدفعًا. ﴿الصُّلْبِ﴾ الظهر.

﴿التَّرَائِبِ﴾ عظام الصدر. ﴿تُبْلَى﴾ تُختَبَر

﴿السَّرَائِرُ﴾ ما تُكِنُّ القلوب.

هذا مَشوك وذلك مَرحعك

والنظر في أول نشأة الإنسان وخلقه نظرة تفكر يدل على قدرة رب العالمين على إعادة الإنسان بعد فنائه، يبدأ خَلْقُ الإنسان من ماء مهين يخرج نقوة من بين عظام الظهر وعظام الصدر

يعيد الله ﷻ بناء كل إنسان يوم القيامة، ذلك اليوم الذي تُمتَحن فيه القلوب وتُختَبر، ويُعْرَف ما كان من العقائد وأسرار النيات، ويُمَيَّز بين ما طاب منها وما خبث، وليس للإنسان في ذلك الوقت قوة تدفع عنه العذاب، ولا ناصر ينصره ويجيره

قال الله ﷻ: ﴿والسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) والأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) ومَا هُوَ بِالْهَزْلِ(١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وأَكِيدُ كَيْدًا(١٦) فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)﴾

المفردات

﴿الرَّجْع﴾ المطر وما يأتي منه بالنبع

﴿الصَّدْع﴾ الشق الذي يجري فيه النهر، ويطلق على النبت

﴿فَصْلٌ﴾ يفصل بين الحق والباطل ﴿فَمَهِّلْ﴾ أنظرهم ولا تستعجل

﴿رُوَيْدًا﴾ قريبًا

يُمهِل ولا يُهمِل

خُتِمَت السورة الكريمة بالقسم على صدق هذا الكتاب المُعجز، القرآن الكريم معجزة محمد ﷺ الخالدة، وحُجته البالغة إلى الناس أجمعين، إنه قَسَم بالسماء ذات المطر الذي يرجع على العباد حينًا بعد حين، وقَسَمٌ بالأرض التي تتصدع وتشق فيخرج منها النبات والأشجار والأزهار، قَسَم بأن هذا القرآن قول فاصل بين الحق والباطل، ليس فيه شيء من اللهو ولا الباطل ولا العبث، وبرغم ذلك فإن هؤلاء المشركين- كفار مكة -يعملون المكائد لإطفاء نور الله وإبطال شريعة محمد ﷺ، ولسوف يقابل الله ﷻ كيدهم بكيدٍ متين لا يمكن رده، لذلك فالمؤمنون لا يستعجلون في هلاكهم والانتقام منهم، لأنهم يعرفون أن الله يمهلهم قليلاً

*****